

الدافعية والتعليم

إعداد الباحث (المعلم)

هاني رفيق إبراهيم أبو خضر

ماجستير أساليب تدريس الرياضيات ، وزارة التربية والتعليم

المملكة الاردنية الهاشمية

h.abukader@gmail.com

ملخص البحث:

ينظر إلى الدوافع عادة على أنها المحركات التي تقف وراء سلوك الإنسان والحيوان على حد سواء، فهناك سبب أو أسباب عدة وراء كل سلوك، وهذه الأسباب ترتبط بحالة الكائن الحي الداخلية وقت حدوث السلوك من جهة وبمثيرات البيئة الخارجية من جهة أخرى، وهذا يعني أننا لا نستطيع أن نتنبأ بما يمكن أن يقوم به الفرد في كل موقف من المواقف، إذا عرفنا فقط منبهات البيئة وحدها، وأثرها على الجهاز العصبي، إذ لا بد أن نعرف شيئاً عن حالته الداخلية كأن نعرف حاجاته وميوله، واتجاهاته، وعلاقتها بالموقف، بالإضافة إلى ما يثور في نفسه من رغبات، وما يسعى إلى تحقيقه من أهداف.

هذه العوامل مجتمعة هي ما نسميها (بالدوافع). إن أسباب السلوك تكمن في الدوافع وخبرات التعلم وتغيرات النضج، فالسلوك قصدي، وهادف، وليس عشوائياً، فهناك أغراض يسعى السلوك إلى تحقيقها، فإشباع الحاجات غرض يعمل السلوك على تحقيقه، وهذه الحاجات قد تكون واضحة للملاحظ الخارجي للسلوك، وقد تكون مضمرة، أما عن خبرات التعلم فإنها تحدد الطريق التي يستجيب فيها الفرد لموقف دافعي معين، ولذلك نرى أن الدافع الواحد قد يؤدي إلى سلوكيات متعددة عند الفرد الواحد، أو عند الأفراد المختلفين.

يشير مصطلح الدافعية (Motivation) إلى مجموعة الظروف الداخلية، والخارجية التي تحرك الفرد من أجل إعادة التوازن الذي اختل. فالدافع بهذا المفهوم يشير إلى نزعة للوصول إلى هدف معين،

وهذا الهدف قد يكون إرضاء حاجات داخلية، أو رغبات داخلية أما الحاجة (Need) فهي حالة تنشأ لدى الكائن الحي عند انحراف أو حيد الشروط البيولوجية أو السيكلوجية اللازمة المؤدية لحفظ بقاء الفرد. أما الهدف (goal) فهو ما يرغب الفرد في الحصول عليه، ويشبع الدافع بالوقت نفسه. لذلك تم دراسة الدافعية وعلاقتها بالتعليم عن طريق مايلي:

- ١- تعريف الدافعية، ووظائفها.
- ٢- تعريف مفهوم الدافع.
- ٣- التمييز بين الدافع والحاجة.
- ٤- تعداد مراحل خفض التوتر.
- ٥- تعداد الحاجات الحرمانية.
- ٦- التمييز بين مفهوم الدافع والحافز.
- ٧- الصياغة بعبارة العلاقة بين الحرمان والعدوان.
- ٨- تصنيف الدوافع.
- ٩- تمييز أسس تصنيف الدوافع.
- ١٠- تحديد الهدف من دافع الاكتشاف، والتحكم. واستنتج ان الدافع هو القوة الحركة التي تدفع الفرد لأن يقوم بسلوك ما لتحقيق عرض ما.

Research Summary:

Motivation is usually seen as the engine behind both human and animal behavior. There are several reasons for each behavior. These reasons are related to the internal state of the organism at the time of the behavior and the stimuli of the external environment on the other. To predict what an individual can do in each situation, if we know only the cues of the environment alone, and its impact on the nervous system, as we must know something about his internal state, such as we know his needs and tendencies, and trends, and their relationship to the situation, in addition to what is raised in The same desires, and the goals he seeks to achieve. These factors combined are what we call (motivation). The reasons for behavior lie in the motives and learning experiences and changes in maturity, behavior is intentional,

purposeful, and not random, there are purposes sought by the behavior to achieve, satisfaction needs a purpose that the behavior works to achieve, and these needs may be clear to the external observer of the behavior, and may be implicit, but about the experiences Learning determines the way in which an individual responds to a particular motivation situation.

Motivation refers to the set of internal and external conditions that move an individual to rebalance an imbalance. Motivation in this sense refers to a tendency to reach a specific goal, and this goal may be satisfying internal needs, or internal desires, but need (need) is a situation arises in the organism when the bias or deviation of the biological or psychological conditions necessary to preserve the survival of the individual. The goal (goal) is what the individual wants to get, and satisfy the motivation at the same time.

Therefore, the motivation and its relation to education were studied by the following:

.١) Definition of motivation and its functions.

- ٢) Definition of the concept of motivation.

Distinguish between motivation and need.

- ٤) enumeration of the stages of reducing tension.

.٥) Enumeration of deprived needs.

Distinguish between the concept of motivation and motivation.

- ٧) Drafting the words the relationship between deprivation and aggression.

Classification of motives.

- ٩) Distinguish the basis of classification of motives.

Determine the goal of the motive of discovery, and control. He concluded that motivation is the force that drives an individual to conduct a behavior to achieve an offer.

Search:

الأهداف:

يتوقع من الدارس تحقيق النواتج الآتية:

- ١- تعريف الدافعية، ووظائفها.
- ٢- تعريف مفهوم الدافع.
- ٣- التمييز بين الدافع والحاجة.
- ٤- تعداد مراحل خفض التوتر.
- ٥- تعداد الحاجات الهرماتية.
- ٦- التمييز بين مفهوم الدافع والحافز.
- ٧- الصياغة بعبارة العلاقة بين الحرمان والعدوان.
- ٨- تصنيف الدوافع.
- ٩- تمييز أسس تصنيف الدوافع.
- ١٠- تحديد الهدف من دافع الاكتشاف، والتحكم.

ينظر إلى الدوافع عادة على أنها المحركات التي تقف وراء سلوك الإنسان والحيوان على حد سواء، فهناك سبب أو أسباب عدة وراء كل سلوك، وهذه الأسباب ترتبط بحالة الكائن الحي الداخلية وقت حدوث السلوك من جهة وبمثيرات البيئة الخارجية من جهة أخرى، وهذا يعني أننا لا نستطيع أن نتنبأ بما يمكن أن يقوم به الفرد في كل موقف من المواقف، إذا عرفنا فقط منبهات البيئة وحدها، وأثرها على الجهاز العصبي، إذ لا بد أن نعرف شيئاً عن حالته الداخلية كأن نعرف حاجاته وميوله، واتجاهاته، وعلاقتها بالموقف، بالإضافة إلى ما يثور في نفسه من رغبات، وما يسعى إلى تحقيقه من أهداف.

هذه العوامل مجتمعة هي ما نسميها (بالدوافع). إن أسباب السلوك تكمن في الدوافع وخبرات التعلم وتغيرات النضج، فالسلوك قصدي، وهادف، وليس عشوائياً، فهناك أغراض يسعى السلوك إلى تحقيقها، فإشباع الحاجات غرض يعمل السلوك على تحقيقه، وهذه الحاجات قد تكون واضحة للملاحظ الخارجي للسلوك، وقد تكون مضمرة، أما عن خبرات التعلم فإنها تحدد الطريق التي يستجيب فيها الفرد لموقف دافعي معين، ولذلك نرى أن الدافع الواحد قد يؤدي إلى سلوكيات متعددة عند الفرد الواحد، أو عند الأفراد المختلفين.

يشير مصطلح الدافعية (Motivation) إلى مجموعة الظروف الداخلية، والخارجية التي تحرك الفرد من أجل إعادة التوازن الذي اختل. فالدافع بهذا المفهوم يشير إلى نزعة للوصول إلى هدف معين، وهذا الهدف قد يكون إرضاء حاجات داخلية، أو رغبات داخلية أما الحاجة (Need) فهي حالة تنشأ لدى الكائن الحي عند انحراف أو حيد الشروط البيولوجية أو السيكولوجية اللازمة المؤدية لحفظ بقاء الفرد. أما الهدف (goal) فهو ما يرغب الفرد في الحصول عليه، ويشبع الدافع بالوقت نفسه.

وعندما يكون الهدف خارجياً، أي مرتبطاً بالبيئة الخارجية يسمى بالحافز، أو الباعث فالطعام هو حافز. أو باعث لأنه يشبع دافع الجوع، فالدافعية إذن هي عبارة عن الحالات الداخلية للعضوية التي تحرك السلوك وتوجيه نحو تحقيق هدف، أو غرض معين، وتحافظ على استمراريته حتى يتحقق ذلك الهدف، فللدوافع إذن وظائف أساسية ثلاث هي:

١- تحريك وتنشيط السلوك بعد أن يكون في مرحلة من الاستقرار، أو الاتزان النسبي، فالدوافع تحرك السلوك أو تكون هي نفسها دلالات تنشط العضوية لإرضاء بعض الحاجات الأساسية.

٢- توجيه السلوك نحو وجهة معينة دون أخرى، فالدوافع بهذا المعنى انتقائية أي أنها تساعد الفرد على انتقاء الوسائل لتحقيق الحاجات عن طريق وضعه على اتصال مع بعض المثيرات المهمة لأجل بقائه، مسببة بذلك سلوك أقدم، وعن طريق أبعاد الإنسان عن مواقف تهدد بقاءه مسببة بذلك سلوك أحكام.

٣- المحافظة على استدامة تنشيط السلوك ما دام بقي الإنسان مدفوعاً أو ما دام بقيت الحاجة قائمة، فالدوافع كما أنها تحرك السلوك تعمل على المحافظة عليه نشطاً حتى يتم إشباع الحاجة.

تطور مفهوم الدافعية:

في الحديث عن تطور مفهوم الدافعية، لا بد من الإشارة إلى أن وجهات النظر التي كانت سائدة في القرون السابقة قد أثرت بشكل أو بآخر في النظرة للإنسان، وعلى تفسير سلوكه، إن الفلسفة العقلانية التي سادت الفكر الإنساني لسنين طويلة افترضت أن الإنسان كائن منطقي، وأنه عن طريق التفكير العقلاني يقرر ويختار أي السبل يتبع إزاء موقف ما وهو بالتالي يعتبر مسئولاً عن أفعاله، وضمن إطار نظرية من هذا النوع لا تحتل الدافعية مكاناً في تقرير سلوك الإنسان.

ومع بدايات القرن السابع عشر بدأ تظهر وجهات نظر أخرى لا تنظر إلى الإنسان على أنه كائن عقلائي فقط، بل اعتبرت أن هناك جوانب في حياة الإنسان لا منطقية، ولا عقلانية، واعتبر المفكرون الجدد الذي سماوا عندئذ بأصحاب النظرة الميكانيكية أن هناك جوانب متعددة في سلوك الإنسان تظهر نتيجة عوامل داخلية أو خارجية ليس للإنسان سيطرة عليها، وكأنهم يقولون إن سلوك الفرد مدفوع بعوامل محددة تحتم عليه أن يتصرف بطريقة معينة أو بأخرى، ولقد ذهب هوبز إلى القول بأننا نتصرف بالطريق التي نتصرف عليها سعياً وراء اللذة، وتجنباً للألم. وهذا القول ظهر فيما بعد واضحاً في التفكير السيوكولوجي عند فرويد، والذي سماه بمبدأ الهدونية.

يشير مبدأ الهدونية عند فرويد إلى أن سلوك الإنسان محكوم بدوافع جنسية (Id) تلك الدوافع التي توجد عند الأطفال غير المهذبة، ويسعى فيها الفرد إلى تحقيق اللذة والسعادة، لذلك فإن سلوك الفرد محكوم باللذة (Pleasure) والإشباع الجنسي.

ظهور مفهوم الدافع والحاجة:

بسبب المصاعب المتعددة التي واجهتها نظرية الغرائز في تفسير سلوك الإنسان استبدل تعبير الغريزة بمفهوم جديد ألا وهو مفهوم الدافع والحاجة،

وعرف في العشرينيات من هذا القرن على أنه حالة من الاستثارة ناجم عن حاجة عضلية، أو جسمية عامة كالحاجة للطعام، والماء، والأكسجين، وحالة الاستثارة هذه تدفع بالفرد إلى أن يسلك سلوكا ما يشبع، أو يرضي هذه الحاجة، فالتغيرات الكيميائية للدم نتيجة نقص المواد الغذائية تولد الحاجة إلى الطعام التي تدفع الفرد إلى سلوك الأكل، ونظرا هذه الصلة الوثيقة بين الحاجة والدافع فقد فهم بعضهم أنهما أسمان للشيء نفسه، واستخدمها علماء النفس بالمعنى نفسه، وللتمييز بينهما يستخدم مفهوم الحاجة للدلالة عن الحالة الفيزيولوجية للخلايا الناجمة عن الحرمان، بينما يستخدم مفهوم الدافع للدلالة على الحالة السيكولوجية الناجمة عن الحاجة، والتي تدفع الفرد للسلوك باتجاه إشباع الحاجة.

وبهذا يمكن القول أن الدافع هو الجانب السيكولوجي للحاجة، ومن الواضح إذن أن الدافع لا يمكن ملاحظته مباشرة، وإنما تستدل عليه من الإثارة السلوكية التي يؤدي إليها، وبذا نقول إن الدافع عبارة عن مفهوم أو تكوين فرضي.

ويرتبط مع مفهوم الدافع، والحاجة مفهوم آخر، وهو الاتزان الذي يشير إلى نزعة الجسد العامة للحفاظ على بيئة داخلية ثابتة نسبيا. أن حيد الظروف الداخلية عن وضع معين بشكل ملحوظ يؤدي إلى حدوث توتر تسعى العضوية إلى خفضه، والعودة مرة أخرى إلى حالة التوازن، وبهذا ينظر العلماء الذي يتبنون وجهة النظر هذه إلى السلوك الإنساني على أنه حلقة مستمرة من التوتر، وخفض التوتر. فالجوع مثلا يمثل توتراً ناجماً عن تغيرات في كيمياء الدم، وعن إفرازات العصارات المختلفة، ويولد حاجة إلى الطعام، ويعمل إشباع دافع الجوع على خفض هذا التوتر الذي لا يلبث أن يعود بعد فترة معينة.

إن معظم علماء النفس يتفقون على أن البشر يكافحون باستمرار حالات من الاتزان، والثبات النسبي للمحافظة على بقائهم البيولوجي، ومن المعروف أن درجات التغير الكبير تؤدي إلى الاضطراب، وقد تؤدي في النهاية إلى تحلل العضوية، ولذا تسعى العضويات المختلفة بما فيها الإنسان للإبقاء على العوامل الفيزيولوجية في نطاق المعقول للحفاظ على البقاء، وللقيام بهذه المهمة لا بد من العمل على إشباع الحاجات الآتية إلى درجة أو مستوى معين وإلا طغت الحاجات المحرومة على سلوك الإنسان وهذه الحاجات هي:

١- الحاجات الحشوية من مثل الحاجة إلى الطعام، والماء والنوم والدفء والبرودة والأكسجين.

٢- حاجات السلامة مثل السلامة الجسدية، وتجنب الأذى، والألم، والحماية من الأمراض.

٣- حاجات الاستثارة والنشاط كالحركة، والعمل، وتشغيل الحواس المختلفة

٤- الحاجة الجنسية كالحاجة للاستزادة من المعلومات الجنسية، واللعب الجنسي والتفريغ الجنسي.

ويبدو أن البشر يكافحون لتحقيق حالات من الاتزان، والثبات النسبي للمحافظة على بقائهم البيولوجي، إن هذا الاتزان ضروري من أجل التعامل النفسي كتكامل عمليات التفكير، والشعور والعمل بطرق منظمة، ومتناسقة تهدف إلى تحقيق أهداف صحية ومعقولة.

وللقيام بهذه المهمة هناك عند من الحاجات السيكلوجية التي لا بد من أن تشبع إلى درجة معقولة حتى يتحقق البقاء السيكلوجي السليم وهذه هي:

- ١- حب الاستطلاع المتمثل في الرغبة للحصول على المعلومات والاستكشافات، والتعرف إلى الجديد.
- ٢- النظام والمعنى، وترتيب المدركات بطريقة تجعل من حياة الفرد حياة لها معنى، ويمكن التنبؤ بها.
- ٣- حاجات الأمن، والكفاية، والأهلية، كأن يشعر الفرد بالأمن، وأن لا يكون مهدداً في بقائه وأن يكون كفؤاً للقيام بمهامه، ومؤهلاته للقيام بعمل معين.
- ٤- حاجات الحب والانتساب كأن يتمكن الفرد من أن يحب الآخرين، وأن يحب من قبلهم أيضاً.
- ٥- حاجات الانتماء والحصول على موافقة الجماعة كأن ينتمي الفرد إلى جماعة أو أكثر، وأن يكون مقبولاً فيها، وأن يتمكن من التكيف مع العلاقات الاجتماعية.
- ٦- حاجات احترام الذات وتقديرها الإيجابي والمناسب.
- ٧- الحاجة إلى تطوير القيم، والأمال والمثل العليا، والأهداف المستقلة.

ظهور مفهوم الحافز أو الباعث:

ظهرت في العقدين الأخيرين من القرن الحالي شكوك عند الكثيرين من علماء النفس بأن مفهوم خفض التوتر يمكن أن يفسر كل السلوك الإنساني، وإن هذا الاتجاه يغفل أهمية العوامل الخارجية في تقرير سلوك الإنسان، هذا ويمكننا أن نتصور بأن الإنسان لا يدفع كلية للقيام بالسلوك بعوامل داخلية، بل أن الحوافز، أو البواعث التي توجد في بيئته تلعب دوراً كبيراً في تقرير ماذا سيعمل وكيف سيسلك.

الطريقة المثلى في النظر إلى الدافعية هو في محاولة فهم الدافعية على أنها تفاعل ما بين مثيرات في البيئة الخارجية، والحالة الفيزيولوجية الداخلية للفرد. فالفرد الجائع يستثار سلوك الأكل عنده نتيجة رؤية طبق شهي من الطعام أو حتى نتيجة شمه رائحة الطعام، وبهذا نرى أن باعثاً أو حافزاً خارجياً يمكن أن يستثير السلوك كما يمكن أن يخفضه أيضاً.

ومن الواضح أن هذا الاتجاه في النظر إلى الدافعية لا يتفق تماماً مع مبدأ خفض التوتر الذي تبناه أصحاب نظرية الدافع والحاجة ناهيك بأن البشر لا يعملون دائماً على خفض التوتر، بل أنهم يلجئون في كثير من الأحيان إلى زيادة درجة التوتر. فالإضراب عن الطعام فيه زيادة في التوتر. والسعي نحو الجديد، والاكتشاف فيه زيادة في التوتر أيضاً، كما أن الكثيرين يميلون إلى الرياضات الخطرة، ومشاهدة أفلام الرعب التي هي بلا شك لا تعمل على خفض التوتر بل على زيادته.

نظرية خفض الدافع:

يسعى الفرد لأن يكون في حالة توازن داخلي بطبيعته، وهذه الفرضية أساس نظرية خفض الدافع، إذ إن الفرد حينما يجوع أو يعطش، فإن حالة عدم التوازن تولد دافعا يقود الفرد للبحث عن الطعام والشراب، وفي حالة تحقيق الطعام والشراب يعود الفرد إلى حالة التوازن.

الجوع دافع، الطعام حافظ.

العطش دافع، الماء حافظ.

الجوع دافع أولي، النجاح والانتماء دوافع ثانوية اجتماعية.

إن مثل هذا السلوك، وسلوكات أخرى كثيرة يمكن تفسيرها عن طريق القيمة الباعثية التي يعلقها الفرد على قيامه بسلوك معين، فسلوك الفرد في أي مناسبة من المناسبات يرتبط بحوافز بيئية معينة، فالفرد سوف يقدم على سلوكات تؤدي إلى حصوله على حوافز إيجابية، أو ترتبط بحوافز إيجابية، وسوف يحجم عن سلوكات تؤدي إلى حصوله على حوافز سلبية، أو ترتبط بحوافز سلبية.

وهكذا تعمل الجوائز والمكافآت، والامتيازات التي يمكن أن يحصل عليها الفرد عملا قويا في استثارة سلوكه وتوجيهه وجهة تمكنه من الحصول على هذه الحوافز الإيجابية، بينما تعمل الإحباطات، والمزعجات، والمنغصات التي قد ترتبط مع موضوع معين إلى إبعاد الفرد عن القيام بسلوك تجاه ذلك الموضوع.

العلاقات بين الدوافع والسلوك:

يتضح مما تقدم أن هناك علاقة وطيدة ما بين الحالة الدافعية للفرد، السلوك الذي يقوم به، ومن النظر إلى الشكل نستطيع أن نفهم هذه العلاقة.

يعمل الدافع سواء كان بيولوجيا، أم سيكولوجيا على استثارة سلوك الإنسان إذا كان ذلك الدافع على درجة كافية من القوة، وبالتالي فإن احتمال قيام الفرد بالسلوك المعين يكون قويا، وإذا صاحب ذلك السلوك حافظ إيجابي فإن درجة الاحتمال تلك تتقوى كثيراً، ونتيجة لذلك يتجه السلوك نحو تحقيق هدف ما، هو في العادة إشباع الحاجة القائمة سواء كانت بيولوجية أم سيكولوجية، والإشباع يؤدي إلى تحقيق درجة من حالة التوازن المثلى المطلوبة لبقاء العضوية. وبعد فترة من الزمن يختل هذا التوازن مرة ثانية أما نتيجة لظهور حاجات جديدة، أو نتيجة لنقص في الشروط البيولوجية، أو السيكولوجية المرافقة للحاجة الأولى، وذلك بمرور الزمن (الجوع مثلا بعد مرور الزمن).

أما إذا كان الدافع ضعيفا، أو كان الحافظ المرتبط بالسلوك سلبيا فإن احتمال ظهور السلوك يكون بالتالي ضعيفا، ونتيجة لذلك لا يتحقق الهدف المعين، ولكن مثل ذلك الحال لا يكون مزعجا للعضوية إلا عندما يقوى الدافع وفي العادة يحدث التوتر عند العضوية نتيجة عدم تحقيق الهدف المعين.

ويكون ذلك ناتجا أما عن احتمال ظهور السلوك الضعيف، أو الناجم عن إعاقة تحقيق دافع قوي نتيجة مانع محيطي أو داخلي، وفي هاتين الحالتين يشتد التوتر الذي من شأنه أن يؤدي إما إلى تقوية الدافع،

أو إلى أن يكتسب الحافز معاني إيجابية جديدة مما يؤدي إلى ظهور السلوك المناسب للإشباع الحاجة المعينة، وهكذا نرى العلاقة ما بين الدافع والسلوك علاقة ديناميكية، وأن التفاعل ما بين الحالة الداخلية للعضوية وحوافز البيئة تفسر لنا بشكل أفضل احتمال ظهور السلوك، أو عدم ظهوره.

تصنيف الدوافع:

درج العلماء- بغض النظر عن التسمية التي يطلقونها على الدوافع- على تقسيمها إلى قسمين رئيسيين هما: الدوافع الأولية والدوافع الثانوية، أو الدوافع البيولوجية والدوافع النفسية.

ولكون تقسيم الدوافع إلى أولوية وثانوية قد تكون عملية خادعة أحيانا، كان يعتقد القارئ أن الأولوية أكثر أهمية من الثانوية، فإن من الأفضل بدلا من ذلك استخدام مصطلح الدوافع البيولوجية، ويقع ضمنها تلك الدوافع التي تعرف لها أسس بيولوجية واضحة كالجوع، والعطش، والجنس، والأمومة، ويستخدم مصطلح الدوافع النفسية للإشارة إلى تلك الدوافع التي لا يعرف لها أسس بيولوجية واضحة كالتملك، والاحترام والتفوق والسيطرة وما إلى ذلك، وتتأثر الدوافع النفسية بخبرات التعلم التي يتلقاها الفرد ويتعرض لها في الثقافة التي يعيشها بحيث إننا نرى غياب بعض فئات الدوافع عند بعض المجموعات الحضارية المعينة يكاد يكون كليا كغياب دافع العدوان عند بعض القبائل البدائية من جهة واختلاف قوة الدافع الواحد عند الأفراد المختلفين في البيئة الواحدة من جهة ثانية، وكذلك اختلاف التفافات بل والأفراد ضمن الثقافة الواحدة في طريقه التعبير عن الدوافع.

أما الدوافع البيولوجية فلا تتأثر بخبرات التعلم إلا فيما يتعلق بطريقة التعبير عن الدافع كطريقة الأكل في حالة الجوع، وطريقة التعبير الجنسي في حالة اشتداد الحاجة لذلك.

تلعب الدوافع النفسية دوراً كبيراً في حياة الإنسان يفوق في كثير من الأحيان الدور الذي تلعبه الدوافع البيولوجية التي تعتبر سهلة الإشباع إلى حد ما، فالسلوك المبكر للرضيع يتحدد وبشكل كبير، بواسطة حاجات الرضيع البيولوجية الأساسية، فهو يبكي عندما يجوع أو يبرد، أو يتألم، ولكنه حالما ينمو يبدأ بالبكاء لجلب أمه لديه، وسرعان ما تظهر لديه دوافع جديدة يتعلمها عن طريق التفاعل مع الناس الآخرين، وبشكل خاص والديه ومن هذه الدوافع مثلا دوافع التقبل، والاستحسان لمن هم حوله، والشعور بالجدارة والكفاءة، والبحث عن خبرات جديدة، وهكذا بخصائص معينة لا تشمل كل أفراد الجنس.

هناك حاجات حرمانية، وهي التي لا يستطيع الاستغناء عنها، فيه تشمل معظم الأفراد، هناك حاجات أخرى تسمى بالحاجات النمائية تضم حاجات تحقيق الذات والرغبة في المعرفة والحاجات الجمالية التذوقية وهي حاجات تعم أفراداً يُميّزون.

وقد اقترح ابراهام ماسلو عالم النفس الأمريكي طريقة في تصنيف الدوافع الإنسانية تجدر الإشارة إليها، افترض ماسلو تمشياً مع أصحاب فكرة الدوافع والحاجات، ومبدأ التوازن إن الدوافع يمكن تصويرها بشكل هرمي بحيث تقع في قاعدته الحاجات الفيزيولوجية الأساسية، وفي قمته الحاجات الحضارية العليا وحاجات تحقيق الذات.

وضمن هذا الهرم تحكم الدوافع المختلفة فيه علاقة ديناميكية أساسية، وتظهر هذه العلاقة في الحاجات الأساسية الأربعة الأولى التي سماها ماسلو بالحاجات الحرمانية (DEPRIVATION NEEDS) أكثر من ظهورها في الحاجات المتبقية من الهرم، والتي سماها بالحاجات النمائية (developmental needs) ويقصد بالعلاقة الديناميكية في هذا النظام أنه على الرغم من أن الحاجات الفيزيولوجية تقع في قاعدة الهرم، أي أنها الأقوى من غيرها من حيث درجة إلحاحها على الإشباع قبل غيرها، على الرغم من ذلك فإن حاجات أعلى في الهرم قد تطغى على سلوك الفرد أكثر من طغيان الحاجات الفيزيولوجية وذلك على الرغم من عدم إشباعها، ويعود ذلك إلى أن الحرمان الشديد من إشباع بعض الحاجات يؤدي إلى أن تطغى هذه الحاجات على سلوك الفرد بغض النظر عن موقعها في الهرم.

ولذا سمي ماسلو هذه بالحاجات الحرمانية، أما ما تبقى من حاجات نمائية يسعى إليها الفرد بعد إشباع الحاجات الأربعة الأولى ويهدف من ورائها تحقيق أقصى طاقات النمو عنده ليصبح فرداً متكاملًا بمعنى الكلمة.

وهذا وتتحدد الأهمية النسبية للدوافع في تقرير سلوك الفرد بمدى قربها، أو بعدها عن قاعدة الهرم، فأقوى الحاجات مثلًا هي الحاجات الفيزيولوجية، فلا يسعى الفرد وراء حاجات الحب والانتماء مثلًا، إلا بعد إشباع الحاجات الفيزيولوجية وحاجات الأمن والسلامة الثاني وهكذا، هذه العلاقة تبادلية كما سبق، ورأينا قبل قليل من حيث إن الحرمان من إشباع حاجات مستوى معين حرماناً شديداً يؤدي بها إلى أن تسيطر على سلوك الفرد حتى ولم تكن تلك الأدنى مستوى منها مشبعة.

إلا أنه من الجدير بالذكر أن هناك العديد من الحالات حيث لا ينطبق هذا النظام النظري الدقيق عليها، فالتاريخ يحفل بالأشخاص الذين كانوا يسعون وبشكل دائم إلى إشباع الحاجات النمائية كالاستكشاف، والفنون وزيادة المعرفة مضحين بالكثير من حاجاتهم الأساسية، ومعرضين حياتهم للمخاطر، وعلاقاتهم الاجتماعية للنقد ومن الواضح أن أفراداً من هذا النوع لا يمكن التنبؤ عن سلوكهم بواسطة افتراضات ماسلو الأساسية.

إن مخطط ماسلو هذا لم يدعم الكثير من البيانات والدراسات إلا أنه وعلى الرغم من ذلك يقدم طريقة تثير الاهتمام في النظر إلى العلاقات بين الدوافع والفرص التي توفرها البيئة في تقرير قوة بعض الدوافع وسيطرتها على بعضها الآخر.

وبعد هذا الحديث عن تطور مفهوم الدافعية تجدر بنا الإشارة الآن إلى بعض الدوافع المهمة في حياة الإنسان، ومدى تأثيرها في سلوكه ولتنظيم الحديث حول هذه الدوافع سيتم تصنيفها في فئات أساسية أربع وسيتم الحديث عن دافع، أو دافعين ضمن كل فئة ليس لأنها أكثر أهمية من غيرها، ولكن لأنه لا يمكن الحديث عن كل الدوافع الإنسانية المعروفة في إطار كتاب كهذا، وهذه الفئات الأساسية هي:

- دوافع الحفاظ على البقاء كالجوع والعطش.

- دوافع الحفاظ على النوع كالجنس ودوافع الأمومة.

- دوافع الدافع والنجاة كالعدوان وتجنب الألم.

- دوافع النشاط والإثارة كحب الاستطلاع والحاجة للإثارة الجنسية.

أولاً- دوافع الحفاظ على البقاء:

تعمل دوافع عدة معا على الحفاظ على بقاء الإنسان البيولوجي كالجوع والعطش والتنفس والإخراج، والنوم فإشباع هذه الدوافع إلى درجة مقبولة تضمن بقاء وسلامة الفرد بيولوجيا، إن نقصان الطعام أو الماء أو الأوكسجين بشكل كبير مثلاً يؤدي إلى موت الفرد في النهاية، ومن الواضح أن لهذه الدوافع أسسا فيزيولوجية واضحة برغم كونها ليست بالموضوع نفسه الخاص بكثير من الدوافع الأخرى المؤثرة في حياة الإنسان، وذلك على الرغم من تأثير العوامل البيئية، والاجتماعية في سلوك الإنسان المصاحب للأكل بالذات، وفيما يلي وصف لهذه الدوافع.

دافع الجوع:

تعتبر الحاجة إلى الطعام من أقوى الحاجات في حياة الإنسان، وفي إشباعها ضمان لبقاء الفرد ولإستمراريته تشير الدراسات إلى أن الحرمان الشديد من الطعام يطغى على سلوك الفرد بشكل واضح أثناء اليقظة، وحتى أثناء النوم، حيث إن أحلام الفرد تصطبغ بالحرمان من الأكل، كما أن الحرمان من بعض الأنواع المحددة من الأكل، أو المواد الغذائية يعمل على توجيه سلوك الأكل لدى الفرد، بحيث يشبهه، الحاجة إلى ذلك النوع المحدد من الطعام الذي حرم منه.

ويتم سلوك الأكل عند الفرد بشكل دوري، ومتوازن، حيث يشعر الفرد بالجوع بعد عدد من الساعات من سلوك الأكل لأول مرة تتناسب مع مخزون الطعام لديه، وكلما نقص هذا المخزون عن حد معين يشعر الفرد بالجوع مرة ثانية، أن ظاهرة التوازن التي سبقت الإشارة إليها تعمل بشكل واضح في حالة الجوع، فإذا استمر الإنسان دون أكل لفترة طويلة يعمل الكبد على إطلاق كمية من مخزون السكر في الدم مما يساعد على استمرار قيامه بوظائفه السلوكية، ولكن ذلك لا يمكن أن يستمر إلى فترة طويلة حيث إن مخزون السكر في الكبد ينفذ بعد فترة، وعندها يتوجه الفرد إلى الأكل بأي شكل من الأشكال.

يبدو أن مثيرات البيئة الخارجية والموقف الاجتماعي يؤثران أيضا في سلوك الأكل عند الفرد، فتشير الدراسات في هذا المجال إلى أن الأفراد العاديين من حيث الوزن والأفراد السمان جدا يستجيبون لمثيرات الجوع وقرصات المعدة بطرق مختلفة، وقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن الأفراد السمان جدا يأكلون على معدة مليئة بالمقدار نفسه من الأكل على معدة فارغة، كما أن الخوف لا ينقص من كمية استهلاكهم للأكل كما هو الحال مع الأفراد العاديين من حيث الوزن، ويبدو أن أحد أهم العناصر الخارجية لمثيرات الأكل هو مرور الوقت، فقد وجدت الدراسات أيضا أن الأفراد السمان جدا يأكلون بشكل أكبر لمجرد إدراكهم أن وقت الطعام قد حان أكثر مما هو عليه الحال مع الأشخاص العاديين في وزنهم.

إن أحد العناصر المهمة للمثيرات الخارجية لسلوك الأكل هي بالطبع مذاق الأكل، ورائحته، ومظهره. ومرة ثانية أشارت الدراسات إلى أن الأشخاص السمان جدا أكثر استجابة لهذه المثيرات الخارجية من الأفراد

العاديين من حيث الوزن. كما أننا عموماً نأكل في صحبة الجماعة بشكل أكبر مما نأكل فرادى خاصة إذا كانت الجماعة التي نأكل معها تعتبر الجماعة المفضلة لنا، وبالوقت نفسه نكون في وضع انفعالي منسجم معها.

العطش:

العطش هو الدافع الثاني المهم في الحفاظ على بقاء الفرد، فمن دون الماء لا يستطيع الفرد العيش سوى أيام قليلة. تعمل العضوية على التعويض عن نقص كمية السوائل في الجسم، أما عن طريق الشرب، أو عن طريق إعادة استخلاص الماء من البول مرة ثانية عن طريق الكليتين.

فالعطش عبارة عن دافع قوي يؤدي بالعضوية إلى الشرب من ناحية، وإلى ظهور ميكانيزم توازني عن طريق إطلاق هرمون ضد التبول يعرف (ADH) من الغدة النخامية من ناحية أخرى، ويعمل هذا الهرمون في التأثير في الكليتين على شكل إعادة امتصاص الماء إلى الدم مرة ثانية. وتكون النتيجة لذلك زيادة واضحة في تركيز البول. إن زيادة تركيز البول تلمح عادة بعد النوم، أو بعد فترة من عدم تناول السوائل. إن هذا الميكانيزم قادر على الحفاظ على التوازن وعندها تشعر العضوية بعطش شديد لا بد معه أن تتناول كمية من الماء.

إن الدلالات التي تقود الفرد إلى الشعور بالعطش، وأن جسمه أصبح بحاجة إلى الماء متعددة، وهذه الدلالات تأتي من خلال المستقبلات في الفم، وفي الحنجرة، وفي المعدة. إن مستقبلات الفم، والحنجرة مهمة، ولكنها غير كافية. فترطيب جدار الفم والمعدة لا يؤدي إلى توقف العضوية عن الشرب.

لقد أشارت التجارب، التي عطل فيها وصول الماء إلى المعدة بعملية جراحية لبعض العضويات الحيوانية إلى أن هذه العضويات تأخذ الكمية المطلوبة من الماء في البداية على الرغم من عدم وصول الماء إلى المعدة مدلة بذلك على أهمية مستقبلات الفم والحنجرة، إلا أن هذه الكميات التي تتناولها العضويات تبدأ بالتزايد التدريجي مع تناقص كمية الماء في الجسم الناجم عن عدم وصول الماء إلى المعدة، وبالتالي عدم امتصاصه، مدلة بذلك على أهمية المستقبلات في المعدة، هذا وتشير الدلائل إلى أنه لا بد من امتصاص كمية معينة من الماء من خلال جدار المعدة لإطلاق ميكانيزم تنظيم سلوك الشرب، وأخذ ما هو مطلوب فقط من كمية السائل.

أن نقص الماء في الجسم يؤدي إلى تغييرين مهمين في الدم وفي السوائل المحيطة بالخلايا الجسمية. وهذان التغييران هما نقص الحجم العام للسوائل في الجسم من جهة، وزيادة تركيز بعض المواد الكيميائية وبخاصة الصوديوم من جهة ثانية. إن زيادة تركيز الصوديوم بشكل خاص يؤدي إلى جفاف الخلايا من خلال عملية الضغط الاسموزي التي تنتقل فيها لسوائل من داخل الخلايا إلى خارجها.

للحفاظ على القدر المعقول من السوائل، والقدر المعقول من التركيز لوضع الاتزان المطلوب، هناك ميكانيzman أساسيان. ومن خلال هذين الميكانيزمين، نضبط كمية الماء المشروب من قبل الفرد والميكانيزم الأول على علاقة بالمستقبلات الازموزية (osmoreptores) الحاسة للتركيز الكيميائي لسوائل الجسم، والميكانيزم الثاني على علاقة بالمستقبلات المحجمية (المتعلقة بالحجم) volumetric receptors التي تستجيب للحجم الكلي للسوائل في الجسم.

يلاحظ كثيرا من الشباب يميلون إلى تناول الطعام قليل السوائل، والتعامل مع المشروبات الباردة وهي ظاهرة جديدة جلبها الشباب إلى مجتمعهم بتأثير من بقائهم خارج البيوت، وما تطلبه أنشطتهم خارج المنزل مع أن هذا النظام في التغذية قد يسبب لهم اضطرابات هضمية عند الكبر...

تشير الدلائل إلى أن الشرب استجابة لتناقص حجم الدم، والسوائل تسببه مادة أخرى تطلق من قبل الكليتين إلى الدم مباشرة، وتعمل هذه المادة على إطلاق هرمونات أخرى تعمل على التأثير في مستقبلات الهيبتولاموس، ويعمل الهيبتولاموس على الإشارة إلى الفرد عن طريق القشرة الدماغية إلى الشرب لتعويض النقص عن حجم الدم والسوائل.

وعلى الرغم من وضوح الميكانزمات التي تؤدي إلى الشرب إلا أن الدلالات التي تؤدي إلى توقف الشرب ليست واضحة تماما، إن إعادة امتلاء الخلايا بالسوائل مرة ثانية -عكس عملية الجفاف- لا يمكن أن تكون التفسير، حيث أن الفرد يتوقف عن الشرب قبل حدوث عملية الامتلاء هذه بوقت طويل. لذا يعتقد أن الإشارات التي تأتي من خلايا الفم والمعدة هي التي تؤدي إلى الشعور بالارتواء والتوقف عن سلوك الشرب.

ثانيا- دوافع الحفاظ على النوع:

إذا كان إرضاء دافعي الجوع، والعطش ضروريين من أجل الحفاظ على بقاء الفرد فإن إشباع دافع الجنس ورعاية الأم لأبنائها الأمران ضروريان للحفاظ على النوع البشري. فلو تصورنا مجتمعا يعزف فيه الرجال والنساء عن ممارسة الجنس، فإننا نستطيع أن نتوقع، وبكل بساطة زوال ذلك المجتمع بعد وقت ليس بالطويل.

وعلى خلاف الكثير من الحيوانات، فإن الوليد البشري لا يستطيع أن يعيش إذا لم يتلق الرعاية من الأم أو من البديل للأم، ولذا فإننا إذا تصورنا مجتمعا تعزف فيه الأمهات عن رعاية أبنائهن فإننا نستطيع أن نتوقع كذلك بأن ذلك المجتمع سوف يزل أيضا بعد وقت قصير، ولذا فإن أهمية هذين الدافعين. الجنس والأمومة، يأتي من أهمية دورهما في الحفاظ على النوع أولا، ولما يجلبانه للفرد من لذة نتيجة إشباعه.

الجنس:

لا يخضع الجنس لمبدأ خفض التوتر، وإعادة تحقيق الاتزان، كما هو الحال مع دافعي الجوع والعطش. فالجنس كدافع يعمل على استهلاك الطاقة. وزيادة التوتر. ولقد سبق أن افترض فرويد بأن الطاقة الجنسية تتراكم في داخل العضوية حتى تصل إلى حد لا بد من تفرغها بأي شكل من الأشكال. إلا أن الدراسات الفيزيولوجية لا تشير إلى وجود أدلة تؤيد هذا الافتراض.

يعتمد السلوك الجنسي على عوامل عدة يمكن تقسيمها إلى فئتين الأولى، وهي فئة العوامل الداخلية الهرمونية بطبيعتها، والثانية فئة العوامل الخارجية البيئية بطبيعتها. إن نمو الأعضاء التناسلية عن كل من الذكر والأنثى، وقدرة هذه الأعضاء على القيام بسلوكها، تحكمه العوامل الهرمونية، وبخاصة هرمونات الغدة النخامية. فهرمونات الغدة النخامية تؤثر في الأنثى بشكل يستثير المبيض لإنتاج هرمون الجنس الأنثوي،

وتؤثر في الذكر بشكل يستثير الخصيتين لإنتاج هرمون الجنس الذكري من الناحية الثانية. إن ازدياد هرمونات الجنس عند كل من الذكر، والأنثى هو المسئول بالتالي عن ظهور الخصائص الجنسية الأولية والثانوية عند الأفراد ونموها.

وعلى الرغم من أهمية العوامل الهرمونية في تقرير السلوك الجنسي عند العضويات المختلفة، إلا أن هذه الأهمية تأخذ بالتناقص كلما ارتفعت العضويات في سلم التطور، ومع تقدم العضويات في سلم التطور، يزداد دور الخبرة، والمثيرات البيئية في تقرير السلوك الجنسي. فعند الذكر مثلاً لا يلحقه الضرر إذا خصي الفرد بعد البلوغ، أما إذا خصي قبل البلوغ فلا يعود الذكر قادراً على الجماع بالطبع.

أما بالنسبة إلى الإناث من العضويات المختلفة، فإنهن يعزفن عن السلوك الجنسي إذا أزيلت مبايضهن إلا في حالة الإنسان. فعلى الرغم من أن بعض الإناث يفقدن الرغبة في السلوك الجنسي بعد إزالة مبايضهن، أو بعد توقف ظهور الطمث، إلا أن التقارير تشير إلى أن معظم هؤلاء النساء يمارسن الجنس بشكل طبيعي، وكأن شيئاً لم يحدث.

إن مستوى الدافع الجنسي عند الذكور ثابت نسبياً ويعود ذلك إلى أن إفراز هرمونات الجنس تكون منتظمة. أما في حالة الإناث فإنه يتأثر بالطبع بالدورة الشهرية للأنثى، وغالباً ما يكون الدافع الجنسي عند الإناث أقوى في بداية الدورة منه في نهاية الدورة.

وعلى الرغم من أن معظم العضويات الحيوانية تكون أكثر استعداداً للسلوك الجنسي أثناء فترة دورة الإخصاب لديها -أي الإناث في فترة تكون البويضة- إلا أن الإناث من البشر يتأثرون بمزيج من العوامل الاجتماعية والانفعالية التي يفوق دورها دور العوامل الهرمونية في تقرير السلوك الجنسي. إن الهرمونات لا تستثير سلوكاً جنسياً معيناً على الرغم من أهميتها في تقرير مستوى الدافع الجنسي، إلا أنها تخلق استعداداً للاستجابة بشكل مناسب لمجموعة من المثيرات البيئية. ولقد أثبتت التجارب الحيوانية صحة هذا القول. فحين حقنت إناث الفئران، مثلاً بهرمون جنسي ذكري فإن هذه الإناث تصرف بشكل ذكري في حضور الإناث من الفئران ولكنها عادت وتصرفت بشكل أنثوي في حضور ذكور واضحة العدوانية.

دافع الأمومة (Motherhood drive):

دافع الأمومة هو دافع آخر من دوافع الحفاظ على النوع. ويتمثل هذا الدافع في رعاية الأمعاء، والعناية بهد وتلبية حاجاتهم الأساسية إلى أن يصبحوا هم قادرين على رعاية أنفسهم. ويصبح هذا الدافع مهماً جداً بالنسبة إلى العضويات التي تتميز دورة حياتها بفترة طفولة طويلة، والإنسان من بين الثدييات التي تكون فترة الطفولة عندها طويلة نسبياً بالنظر إلى الحيوانات الأخرى. إن أفراخ الدجاج تصبح قادرة بعد ساعات قليلة من التفقيس على تناول الحب. أما في حالة الإنسان فإن الطفل لن يتمكن من تناول طعامه وحده إلا بعد عدد من السنين. ولذا فإن هذا الدافع يعتبر مهماً جداً للحفاظ على بقاء الأطفال، وبالتالي على النوع البشري.

إن دافع الأمومة يمكن أن يكون دافعاً قوياً جداً، في حياة الحيوانات الدنيا، ولقد وجد أن هذا الدافع كان أقوى من دوافع الجوع، والعطش، أو الجنس في تقرير سلوك العضويات.

فالفئران مثلا تلجأ إلى قطع شبكة مكهربة لتمكن من العناية بأطفالها مرات أكثر من قطعها للشبكة لتناول الطعام، أو الشراب، أو ممارسة الجنس. وكما هو الحال بالنسبة للدوافع الأخرى التي سبق ذكرها، فإن لدافع الأمومة مكونات فيزيولوجية أيضاً. إلا أن الظروف الفيزيولوجية لهذا الدافع أكثر تعقيدا من الدوافع الأخرى.

إن أحد التأثيرات الفيزيولوجية الأساسية بالنسبة لدافع الأمومة، هو من طبيعة هرمونية فهرمون البرولكتين يزداد من حيث الكمية بشكل أكبر من هرمون الجنس بعد فترة الولادة، وهذا الهرمون يرتبط بشكل أساسي مع إدرار الحليب. ولقد وجد في التجارب على الحيوانات بأنه إذا حققت عذارى الفئران به فإنها تبدأ بممارسة أنواع من سلوك الأمومة كبناء الأعشاش، والعناية بالصغار. ولقد ظهرت السلوكيات نفسها حتى عند جمع الطعام، أما عند الحيوانات الأكثر رقياً في سلم التطور فإن الصور تصبح أكثر تعقيدا حيث إن سلوك الأمومة يتأثر كثيرا بالخبرة والتعلم عند الحيوانات الأكثر رقياً.

إن السرعة التي تتعلم فيها الأمهات من مختلف العضويات، سلوك العناية بأنسالها، أدى ببعضهم إلى افتراض وجود غريزة أمومة عند الإناث. والواقع أننا لا نستطيع تأييد، أو قبول هذا الفرض وذلك لأن العديد من العضويات تميل إلى قتل انسالها بعد ساعات قليلة من الولادة، وتعمل على أكلها أحيانا. كما أنه على مستوى الإنسان لا بد من توفر خبرة، وتعلم طويلين حتى تتمكن الإناث من رعاية الأطفال بشكل يضمن لهم بقاء صالحا. إن مظاهر سوء استخدام الأطفال، والقسوة الواضحة عند بعض الأمهات على أطفالهن، والإهمال الواضح عند بعضهم الآخر لا تؤيد أن الأمومة هي غريزة فطرية عند كل النساء.

ثالثا- دوافع النشاط والإثارة:

إن الكائنات الحية لا تعمل فقط على القيام بسلوكيات تحافظ على بقائها، ونوعها، بل إنها، وخاصة تلك الأعلى في سلم التطور، تعمل على اكتشاف البيئة من حولها وتحاول التحكم في مظاهر البيئة من أجل أن تتكيف معها وتستزيد من نشاطها. وضمن هذه الفئة من الدوافع لا تظهر العوامل الفيزيولوجية بالوضوح نفسه الذي كانت تظهر فيه بالنسبة لتأثيرها فيما سبق من دوافع. وإنما نجد أن هذه الدوافع تدفع الفرد للفهم، والسعي نحو الجديد، وتحقيق التقدم من أجل إثراء وإغناء الإمكانيات السلوكية، وضمن هذه الفئة سيتم الحديث عن دوافع الاكتشاف والتحكم، ودوافع الاستثارة الحسية، وأخيرا دافع التحصيل.

دافع الاكتشاف، والتحكم (السيطرة) (Discovery and Control):

يمثل دافع الاكتشاف، والتحكم الجذور الأولى للرغبة في المعرفة والاستزادة منها، ولولا وجود هذا الدافع لما وسع الإنسان من إطار حدوده، ومعرفته الشيء الكثير الذي يزيد على المعرفة الضرورية للبقاء البيولوجي. إن هذا الدافع يكون موجها بتأثير الرغبة في معرفة البيئة. وليس بالسعي وراء الطعام، أو الماء أو الجنس.

يأخذ سلوك التحكم شكل الاكتشاف في كثير من الأحيان، وخاصة عند البشر. فقد أشارت تجارب بياجيه وبشكل واضح إلى أن صغار الأطفال يشدون حبالا لتحريك لعبة معلقة فوق أسرته كما أن الطفل فيما بين الشهر الخامس، والسابع يقوم بإزاحة الغطاء عن وجهه ليرى ما حوله،

بينما يقوم بسلوك البحث عن شيء خلف ستارة فيما بين الشهر الثامن والعاشر وفي الشهر الحادي عشر يقوم الطفل بوضع الأشياء في أماكن متعددة ليعود ويبحث عنها فيما بعد.

إن جذور سلوك الاكتشاف راسخة في الطفولة الباكرة للفرد، وتتزايد النزعة للمعرفة عند الأطفال بشكل سريع للغاية في السنوات الرابعة، والخامسة من العمر، ويتمثل ذلك في الأسئلة اللامتناهية عن الأشياء؟ وكيف تتحرك ولماذا؟ ونظرا لأهمية هذا الدافع في التحصيل والتعلم فيما بعد، فإنه من الضروري أن يوظف بشكل مناسب لكي يحقق الفرد من ورائه أقصى ما يمكن.

دوافع الاستثارة الحسية:

يقود كل من الاكتشاف، والتحكم إلى معلومات حسية جديدة يستخدمها الفرد فيما بعد لمزيد من الاكتشاف والتعلم. وعندما تنخفض المدخلات الحسية لدى الفرد تظهر الحاجة للإثارة الحسية بشكل أكبر. إن الألفة والاعتقاد سريعا ما يقودان إلى نزعة للتغيير. وقد أشارت تجارب متعددة إلى أهمية هذا الدافع في حياة الإنسان.

إن الحرمان من الاستشارات الحسية المناسبة في المرحلة الحرجة (السنوات الأولى) قد يعطل استفادة الطفل من الخبرات التالية لحاجته للخبرات السابقة. ويتطلب تعويضها عددا كبيرا من السنوات والخبرة الحسية دافع يسعى الطفل عن طريقها إلى معرفة العالم، وفهمه بهدف السيطرة عليه.

ولعل أهم التجارب التي أجريت في هذا الميدان هي التجارب التي قام بها بكستون Bexton و هيرون Heron وسيت Seet في جامعة ماكجيل في كندا. قام هؤلاء الباحثون باستخدام متطوعين من طلبة الجامعة حيث وضعوا في جو تجريبي منعت فيه حواسهم عن الاتصال الطبيعي بالبيئة المحيطة، لإفترقة قصيرة من الوقت لإشباع حاجات الطعام، والإخراج، وذلك مقابل قيمة من المال تعطى لهم، وبعد يومين، أو ثلاثة رفض معظم المشتركين الاستمرار في التجربة مهما كانت كمية النقود التي ستدفع لهم. وفي أثناء التجربة أفاد المشتركون بأنهم كانوا غير قادرين على التفكير، أو التركيز لفترة من الوقت، ولقد لوحظ لديهم أيضا تدن في القدرة على حل المشكلات.

وفي تجربة شهيرة قام بها ليلي J.C Lilly وضع مفحوصون حتى الرقبة في ماء كانت درجة حرارته تعادل درجة حرارة الجسم. وغطيت رؤوسهم بخوذة تعزل عنهم الصوت والمثيرات البصرية الأخرى. وبالإضافة إلى تأييد هذه التجربة لنتائج التجربة السابقة، فقد أشارت أيضا أن الحرمان من المثيرات الحسية كان يمثل وضعا من الملل، وعدم الراحة، والتوتر، والاضطراب الانفعالي. ولقد استنتجت هاتان التجربتان والكثير من التجارب الأخرى أن الناس يحتاجون إلى الإثارة الحسية لضمان حسن تكيفهم مع البيئة التي يعيشون فيها.

إن من بديهيات علم النفس الآن أن الخبرة الحسية الباكرة عند الأطفال ضرورية من أجل النمو الإدراكي المناسب، وأن الحرمان من المثيرات الحسية قد يؤدي برأي دونالد هب، أحد كبار علماء النفس، إلى تعويق عقلي قد لا يمكن تلافي آثاره الخاصة إذا كان هذا الحرمان شديدا، ولحسن الحظ أنه يبدو أن الصغار من الأطفال يعكسون نزعة تكاد تكون فطرية للبحث عن الإثارة الحسية الجديدة. والاستزادة منها.

إن الحاجة إلى تغيير في المثبرات له دور مفيد في حياة العضوية. فكل مثير عبارة عن مصدر جديد للمعلومات عن البيئة، والمعلومات عن البيئة ضرورية من أجل التكيف الناجح، وفي بعض الأحيان من أجل البقاء.

دافع التحصيل (Achievement Drive):

يتمثل دافع التحصيل في الرغبة في القيام بعمل جيد، والنجاح في ذلك العمل، وهذه الرغبة كما يصفها مكلياند، أحد كبار المشتغلين في هذا الميدان، تتميز بالطموح، والاستمتاع، في مواقف المنافسة والرغبة الجامحة للعمل بشكل مستقل، وفي مهاجمة المشكلات وحلها، وتفضيل المهمات التي تنطوي على مجازفة متوسطة بدل المهمات التي لا تنطوي إلا على مجازفة قليلة، أو مجازفة كبيرة جداً.

ودافع التحصيل على علاقة وثيقة بممارسات التنشئة الاجتماعية في الطفولة المبكرة، فقد أشارت الدراسات حول من تميزوا بدافعية للتحصيل مرتفعة أن أمهاتهم كن يؤكدن أهمية استقلالية الطفل في البيت، وكان هذا التأكيد يتمثل في إصرار هؤلاء الأمهات على وجوب ذهاب الطفل إلى فراشه وحده وأن يلهو، ويسلي نفسه بدلا من أن يسلي من قبل الآخرين، وأن يختار ملابسه، ضمن أشياء أخرى أيضاً، وكانت هؤلاء الأمهات تثبت سلوك الاستقلالية بشكل جسدي واضح عن طريق الحضن، أما من تميزوا بدافعية للتحصيل منخفضة فقد وجد أيضاً أن المولودين أولاً أو الوحيديين يتمتعون بدافعية للتحصيل مرتفعة أكثر من المولودين لاحقاً.

هل فكرت لماذا تعتبر الأسرة العربية مدفوعة جداً نحو التحصيل المدرسي؟ وإليك تعبيرات الوالدين، وغيرتهم بهذا الشأن:

أبيع أمك وأخوانك لكي تتعلم.

أبيع الدار، وأتفرش الشارع لكي تتعلم.

أبيع الأرض والزرع لكي ترفع رأسي.

يشكل التحصيل والنجاح كرامة الأسرة.

إن الأفراد الذين يوجد لديهم دافع للتحصيل مرتفع يعملون بجدية أكبر من غيرهم، ويحققون نجاحات أكثر في حياتهم وفي مواقف متعددة من الحياة، وعند موازنة هؤلاء الأفراد بمن هم في مستواهم من القدرة العقلية، ولكن يتمتعون بدافعية منخفضة للتحصيل، وجد أن المجموعة الأولى تسجل علامات مدرسية وجامعية أفضل كما أنهم يحققون تقدماً أكثر وضوحاً في المجتمع. والمرتفعون في دافع التحصيل واقعيون في انتهاز الفرص، وأخذ المجازفات بعكس المنخفضين في دافع التحصيل الذين إما أن يقبلوا بواقع بسيط، أو أن يطمحوا في واقع أكبر بكثير من قدرتهم على تحقيقه، وعلى الرغم من رغبة هؤلاء الأفراد بالعمل باستقلالية إلا أنهم لا يعجزون عن التعاون والعمل الجماعي.

ونظرا إلى كون دافع التحصيل يتأثر بممارسات التنشئة فمن المنتظر ظهور فروقات واضحة بين أفراد طبقات المجتمع الواحد، وما بين أفراد الثقافات المختلفة وذلك لاختلاف ممارسات التنشئة من طبقات اقتصادية اجتماعية إلى طبقة أخرى، ومن ثقافة إلى ثقافة.

وعموما فإن الطبقات، والثقافات التي تشجع على الاستقلالية، والمبادأة، وتثيب ذلك منذ السنوات البكرة في الطفولة تنزع إلى أن تنتج أفرادا يتمتعون بدافع مرتفع للتحصيل ويعمل ذلك في كثير من الأحيان على التعويض عن القدرة العقلية العامة، وبخاصة فيما يتعلق بالتحصيل المدرسي.

دوافع النجاة والدفاع والسلامة (Safety and Security):

تشمل هذه الزمرة من الدوافع مجموعة أخرى من الدوافع الأساسية في حياة الإنسان التي تخدم حسن تكيف الفرد مع بيئته، والحفاظ على أمنه، وسلامته في مواقف الخطر، والتهديد التي يتعرض لها، ومن هذه الدوافع نذكر دوافع الخوف والغضب، ودوافع تجنب الألم، ودافع العدوان، ونظر لأهمية العدوان في حياتنا ولما له من صلة في حياتنا الاجتماعي، فسيتم عنه الحديث بوجه خاص.

العدوان (Aggression):

العدوان هو سلوك يقصد به المعتدي إيذاء الشخص الآخر، أو تحطيم الممتلكات. ويرى هليجار، أحد كبار علماء النفس أن هناك نوعين من العدوان الواسيلي الذي يقصد من ورائه الحصول على الإثابة، وليس إيذاء الضحية (Scapegoat)، أما عن طريق الحصول على شيء مرغوب فيه. ولعل هذا المعنى هو الأقرب إلى مفهوم النجاة لهذه الزمرة من الدوافع.

وكما رأينا في الفصل الأول من هذا الكتاب، فقد تعددت النظريات حول العدوان وذلك نظرا لمركزية العدوان في سلوك الإنسان، ولما للعدوان من نتائج أساسية تلمح بشكل مباشر، وسريع. أن النظرية الفرويدية التحليلية ترى بأن العدوان هو عبارة عن التعبير المباشر لغريزة (Instinct) الموت والتدمير، إحدى الغريزتين الأساسيتين، وأن العدوان عبارة عن طاقة تبنى داخل الفرد، وتعبّر عن نفسها خارجيا على شك تعد على الآخرين، أو الممتلكات، أو داخليا على شكل تدمير الذات.

ولم يرى فرويد خلاصا للإنسان من العدوان إلا عن طريق زيادة التقارب العاطفي بين بني الإنسان من جهة، وتوفير الفرص المناسبة للتفيس عن العدوان بشكل مقبول اجتماعيا، من جهة ثانية.

لم يتفق الكثير من علماء النفس مع فرويد على أن العدوان غريزة فطرية، وإنما افترضوا أن العدوان عبارة عن دافع يرتبط مع الإحباط الناجم عن عدم القدرة على تلبية الحاجات، وان التعبير عن العدوان يؤدي إلى خفض التوتر الناجم عن الإحباط، وبالتالي تقليل العدوان، ولذا فإن هذه المجموعة من العلماء افترضت أن العدوان عبارة عن رد فعل للإحباط، ولا يمكن أن يكون فطريا: نظرا لأن العدوان لا يحدث فيما إذا عوقب في وقت سابق من حياة الإنسان.

لقد أشارت العديد من الدراسات، والملاحظات اليومية، والاكليينكية إلى أن التعبير عن العدوان لا يؤدي بالضرورة إلى خفض قوة الدافع (أي العدوان) مما يتناقض مع افتراض نظرية الدافع، وخفض التوتر، ولذا فقد برزت مجموعة أخرى من العلماء حاولت تفسير العدوان على أنه سلوك متعلم.

إن العدوان عبارة عن سلوك يمكن أن نتعلمه إما من خلال الملاحظة، أو من خلال التقليد، وكلما عزز، أو أثيب الملاحظ أو المقلد بشكل مباشر، أو غير مباشر لتقليده للسلوك العدواني زاد احتمال ظهور السلوك العدواني عند الفرد. كما أن الأدلة تشير بأن السلوك العدواني الذي يثاب صاحبه عليه يكون أكثر عرضة للتقليد من قبل الآخرين خاصة الأطفال.

إن الإحباط عبارة عن استثارة انفعالية غير سارة تمثل وضعا مزجعا للفرد، كما أن هذه الاستثارة يمكن أن تستدعي من الفرد عدة استجابات من بينها العدوان، واعتمادا على نوع الاستجابات، التي تعلمها الفرد في تعامله مع مواقف من القسر، والضغط مشابهة للوضع الراهن، إن هذه الاستجابات يمكن أن تكون طلب المساعدة من الآخرين، أو الانسحاب من الموقف، أو محاولة حل المشكلة، وتخطيها، أو اللجوء إلى الكحول والمخدرات، أو العدوان، أو استخدام ميكادزمات الدفاع الأساسية.

وهكذا فإن هذه هي أكثر الاستجابات التي يحتمل ظهورها أكثر من غيرها، فإذا قاد العدوان في الماضي هذا الفرد للتخلص من الإحباط، فإن احتمال لجوئه إلى العدوان في المستقبل سوف يزداد، والشيء نفسه صحيح بالنسبة لأي استجابة أخرى.

* هل تعلم أن الإحباط دافع؟

* هل تعلم أن وراء كل عدوان إحباطاً؟

* هل تعلم أن العدوان يمكن أن يكف باستخدام برنامج ضبط الذات (Self-Control)؟

* هل تعلم أن العدوان متعلم، ويمكن حذفه، وتهذيبه ليصبح إحسانا، وإنجازا.

لقد أشارت تجارب البرت باندورا (1973) أحد أشهر المشتغلين في هذا المجال، إلى أن السلوك العدواني يمكن تعلمه كأى سلوك آخر، أما من خلال تعزيز هذا السلوك مباشرة، أو من خلال تقليد سلوك نماذج عدوانية سواء كانت النماذج حية، أو متلفزة، وتشير الدراسات في هذا المجال أيضا إلى أن السلوك المتعلم بهذه الطريقة يميل لأن يبقى مع الفرد مدة طويلة من عمره، وعلى الرغم من أن هذه النظرية قد لاقت رواجاً وتأويدا كبيرا، إلا أنه لا يمكن فهم العدوان دون الإشارة إلى أسسه البيولوجية.

وأخيرا يبقى السؤال: هل التعبير عن العدوان على شكل سلوك يؤدي إلى خفضه، والتقليل منه حسبما تنتبأ به نظرية الدوافع وخفض التوتر؟ أو أنه يزيد من احتمال لجوء الفرد إلى مزيد من العدوان في المستقبل حسبما تنتبأ به نظرية التعلم الاجتماعي؟ أن نتائج الدراسات العديدة التي أجريت في هذا الميدان تشير إلى أن الاشتراك في نشاطات العدوان. والسلوكات العدائية. يزيد من العدوان، أو يحافظ على مستواه نفسه عند الأطفال والراشدين على حد سواء، خاصة إذا كان العدوان يؤدي إلى نتائج إيجابية يريدونها الفرد كحل مشكلة،

أو التغلب على عائق، أو الحصول على مكافأة والأنكى من ذلك فإن مشاهدة نموذج عدواني حي، أو متلفز يزيد من احتمال لجوئنا نحن إلى العدوان خاصة إذا كان ذلك النموذج يتوصل إلى نتائج إيجابية، ومحسوسة من وراء عدوانه.

وأخيرا ليست هذه هي كل الدوافع، أو أهم الدوافع على الإطلاق، فلقد حاولنا أخذ عينة من الدوافع المتعددة في حياة الإنسان لنشر كيفية تأثيرها في السلوك وتبقى هناك دوافع اجتماعية عدة لها قيمة كبرى في التكيف مع الآخرين والعيش معهم بسلام كدوافع الانتساب، والانتماء، والحب، والتملك، والسيطرة، والخنوع، والاستقلال والتبعية، والعطف... وغير ذلك كثير.

الاستنتاجات:

- ١- الدافع هو القوة الحركية التي تدفع الفرد لأن يقوم بسلوك ما لتحقيق عرض ما.
- ٢- حتمية غرضية الدافع تتضمن أن وراء كل سلوك دافعا.
- ٣- فرضية الإحباط تتضمن أن وراء كل عدون حالة إحباط.
- ٤- الإحباط هي حالة إعاقة تلبى حاجة يهدف الفرد إلى تحقيقها، أو الحصول عليها، ولكما زادت حالة الإعاقة زادت قوة الإحباط.
- ٥- يمكن خفض التوتر بإشباع الدوافع التي تلح للإشباع.
- ٦- الحاجات الحرمانية هي التي لا يستطيع الفرد أن يرتاح أو يهدأ إلا إذا قام بإشباعها مثل الطعام والشراب.
- ٧- الحافز هو الذي يوجد في البيئة، والذي يتم عن طريقه إشباع الدافع، فالشراب حافز والعطش دافع.
- ٨- الدوافع نوعان بيولوجية وسيكولوجية، وهي متدرجة هرمياً.
- ٩- إن الهدف من دوافع الاكتشاف، والتحكم هو السيطرة على البيئة، وتشكل المعرفة دافعا يتم فيها معرفة ما يدور من حولنا من أحداث، وما يوجد حولنا من متغيرات وعناصر..

المراجع:

- ١- أصول علم النفس د. أحمد عزت راجح.
- ٢- علم النفس العام، أ.د يوسف قطامي و أ.د عبد الرحمن عدس.
- ٣- مبادئ علم النفس أ.د عبد الرحمن عدس. د. نايفه قطامي.